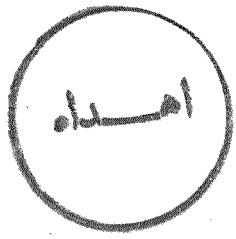

08 APR 2004

مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد السادس والعشرون

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

أثر البُعد الاجتماعي لمهمة الشعر في توجيه النقد عند ابن طباطبا عيار الشعر نموذجاً

د. هاشم العزام

قسم اللغة العربية التطبيقية
جامعة البلقاء التطبيقية
إربد – المملكة الأردنية الهاشمية

أثر البُعد الاجتماعي لمهمة الشعر في توجيه النقد عند ابن طباطبا عيار الشعر نموذجاً

د. هاشم العزام
قسم اللغة العربية التطبيقية
جامعة البلقاء التطبيقية
إربد – المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث

حاولت الدراسة أن تستنطق السياقات النقدية ذات المضامين الاجتماعية في كتاب عيار الشعر من أجل البرهنة على أن ابن طباطبا في حديثه عن أسرار الصنعة الشعرية كان ينطلق في آرائه النقدية عن فهم الناس للمهمة الاجتماعية للشعر جاء ذلك من خلال تسليط الضوء على الجانب النظري والجانب التطبيقي لكتاب عيار الشعر.

ولقد بدأت الدراسة بمقدمة تبين المكانة الاجتماعية المهمة التي تبوأها الشعر والشعراء في نفوس الناس منذ أفلاطون وأرسطو، بعد ذلك أشا رت الدراسة إلى هذه المكانة العالية التي أولاها العرب للشعر والشعراء من خلال استعراض بعض الآراء لعدد من النقاد العرب الأوائل ابتداءً من ابن سلام ومقولته المشهورة (الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٍ أصح منه)[١] ولِمَ لهذه العبارة من إعلاء لقيمه الشعر ومكانته النابعة أصلاً من طبيعة الدور الذي يقوم به في المجتمع العربي القبلي والذي هو دور اجتماعي بشكل رئيسي. ثم حاولت الدراسة أن تعرض لمجمل فصول كتاب عيار الشعر سلطت الضوء على العبارات النقدية التي يعتقد الباحث أنها ذات صلة عميقة بموضوع البحث لافتاً النظر إلى ابن طباطبا. يؤكد بذلك الدور الاجتماعي للشعر والشاعر (إذ يبني تصوره للمهمة الاجتماعية على أساس فني المديح والهجاء

١) طبقات فحول الشعراء ص٢٤.

وما يتصل بهما من أغراض ذات صلة بوظيفة اجتماعية)[٢] يقول ابن طباطبا (واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها...)[٣] إذ إن دلالات ابن طباطبا ومحمولات ألفاظه اجتماعية ولا تكاد تحيد عن هذا الخط الذي رسمه العرب للشعر والذي يحدد مهمة الشعر بالعبارة القديمة "الشعر ديوان العرب".

ثم حاولت الدراسة أن تبين الاهتمام بكتاب عيار الشعر لكون صاحبه واحداً من النقاد القدماء (في مجال التأصيل النظري للعمل الشعري)[٤] في مرحلة مبكرة من مراحل النقد العربي نسبياً من جهة، ومن جهة أخرى لعنايته بالصنعة الشعرية وما يترتب على صاحبها من تبعات من ارتضى لنفسه هذه الصنعة ولبروز تأثير المجتمع بشكل واضح على أن يجعله ركناً أساسياً في معيار الشعر الذي يريده أن ينهض مع البناء من أساسه وينتهي بنهايته ملامساً العملية الإبداعية، بدوائرها الثلاث النص بوصفه فعلاً منتجاً والمبدع متسلحاً بالموروث والمتلقي هدف العملية الإبداعية بدا ذلك من خلال رصد الأقاويل الصادرة عن ابن طباطبا فيما يخص التعليق على الأشعار الجيدة النسج أو الرديئة النسج من الناحية الفنية ومن حيث المضامين.

❀❖❀❖❀

٢) مفهوم الشعر، ص٢٧.
٣) عيار الشعر ص ١٦-١٧.
٤) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ص ١٣٣.

The Social Effect of the Role of Poetry in guiding Criticism, as Perceived by Ibn Tabatiba, Taking Poetry Criterion as a Model

Standard

The study aimed at examining the critical contexts with their social implications in 'iyar Al- Shai'r in order to show that Ibn Tabatiba, in his talk about the secrets of poetic skill, depended in his critical views on the understanding of people of the social role of poetry. That was manifested through the shedding of light on both theoretical and practical sides of 'iyar Al- Shi'r.

The study was introduced by a prelude showing the important social role which poetry and poets occupied in society, starting from the time of the plate and Aristotle.

Then the study referred to this high rank of poetry and poets the Arabs were interested in, through a review of some earlier critics view, starting from Ibn Salam's well – known who never had one more correct than it). This saying estimates poetry and its rank highly, as a result of the role it plays in the Arab society, which is basically a social one.

For a general review of the chapters of 'iyar Al- Shi'r, the study emphasized the critical statements which the researcher believed to be related to the topic, with the social role of poetry and poet, thinking of the social role as based on both genres of eulogy and satire and any other aspect related to social function.

Ibn Tabatiba says: (Be it known that the Arabs enriched their poems with descriptions (adjectives), similes and wise sayings within

the range of their knowledge). His denotations and interpretation of utterances are social as he can not move away from the line, drawn by Arabs to their poetry, which identifies the role of poetry through the old statement: poetry is the account of Arabs.

The study attempted to show the significance of 'iyar Al- Shi'r because its author, was on one hand, one of the earliest critics (in the field of theoretical authenticity of poetic career) in a relatively early period of the stages of Arabic criticism, and his interest in poetic skill on the other hand.

He wanted poetry to be deeply related to the creativity process with its three circles of: textas being the productive part; the composer (creator as being influenced by heritage and the receiver as being the aim of this creative process.

All that was revealed through Ibn Tabatiba's sayings concerning his comments on well – composed poems or badly – composed ones in regard to skill and content.

أثر البُعد الاجتماعي لمهمة الشعر في توجيه النقد عند ابن طباطبا عيار الشعر نموذجاً

يحتل الشعر موقعاً خاصاً في بنية التفكير الإنساني منذ أفلاطون بالرغم من الحملة التي شنها ضد الشعر، و المتمثلة في قوله "إنّ لحلاوته وطراوته مبنى ومضموناً يملآن الفتيان خنوثة وميوعة وفسوقاً"[١]، ثم تلاه أر سطو الذي أولى الشعر عنايته، واهتمامه الخاص، وانبرى للرد على اتهامات أستاذه أفلاطون بأقوى الحجج والبراهين؛ وهذه العناية، وهذا الاهتمام لم يكونا عفو الخاطر، بل كانا "صدىً لعناية النقاد والجمهور بالشعر والمسرح في اليونان؛ فلقد كان للشعر والمسرح المكانة العليا، وكان لهما في نفوس الناس منـــزلة خطيرة. وكانت الدولة في المدن اليونانية تعنى بالشعر عنايتها بالحرب والأمن والسياسة وكان الجمهور يشارك في المشاهدة والنقد معاً، وكانت التربية الضرورية للمواطن الحر تقتضي الإحاطة بالشعر والمسرح"[٢] ، وقد قرر هوراس بعدهما "أن الشعراء اكتسبوا بين الناس مكانة الحكماء والنبيين، من جراء توسطهم في حل مشاكل الخلق. وهي فكرة قديمة شائعة إلى حـــد جعل الرومان ينحتون لفظة تشير إلى الشاعر والنبي كأنهما شيء واحد"[٣].

إن الدارس يلحظ من خلال هذه الآراء التي سيقت أن للشعر وظيفة وهدفاً من خلال إلحاح الفلاسفة والحكماء على إيلاء الشعر والشاعر المكانة التي تليق بهما. ولما كان الفن ظاهرة اجتماعية فإن العرب كانوا من بين الأمم التي أولت جل عنايتها واهتمامها للشعر "والجمهور العربي ما زال يعتبر الشعر فن العربية الأول"[٤] حتى الآن، لذلك كان اهتمام النقاد العرب في مراحل مبكرة منصباً على ربط الشاعر بالمجتمع نظراً للوظيفة المنوطة بالشعر والشاعر على حد سواء، ولقد كانت الوظيفة الاجتماعية عند العربي هي الأساس، وهي الأولى، التي يريدها العربي من شاعره، "لذلك لم يكن

الشعر ترفاً لا يتعاطاه إلا قلة من الناس، بل كان من أهم الوسائل للتعبير الأدبي، وكانت قصائد الشعراء وهي لم تدون بقلم تطير عابرة في الصحراء أسرع من الرياح، وتحدث أثرها العظيم في قلوب من يسمعونها"[٥] ولذلك كان فرحهم لا تحده حدود إذا نبغ في القبيلة شاعر"أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال، والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"[٦].

ولما كان الشعر في العرب "جوهرياً"[٧] كما يقول الخليل، أدرك العرب أهمية الشعر، ومكانته، وأثره الفعال طبقاً للوظيفة التي يؤديها، والرسالة المنوطة به، من هنا فقد أولته كبير اهتمامها وعظيم عنايتها، وقد أودعت فيه كل معارفها "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون"[٨] . والدارس يرى في عبارة ابن سلام هذه إطلالة على مكانة الشعر، ومنـــزلته العالية في نفس العربي الذي لم يكن له علم سواه، مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب أن يقول معظماً من أهميته: "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[٩].

ولا تحيد أراء النقاد بعد ابن سلام كثيراً عن جوهر ما جاء به، مع تعدد الصياغات التي تؤكد وجهات نظر أصحابها في إعلاء قيمة الشعر ومكانته النابعة أصلاً من طبيعة الدور الذي يقوم به الشعر في المجتمع العربي القبلي في شبه الجزيرة العربية، والذي هو دور اجتماعي بشكل رئيسي، يضاف إليه الأدوار الأخرى التي نشط الشعر في تأديتها، الأمر الذي خوّل"الشعر في العربية أن يحاول استيعاب طاقات الفنون"[١٠] "وأن يسيطر على العديد من مجالات الحياة مما جعله الوعاء المفضل للعلوم العربية"[١١] وسيقوم الدارس بعرض نصوص من النقد العربي القديم، تظهر إلحاح الشعراء على المهمة

الاجتماعية والدور الاجتماعي الذي لعبه الشعر تجاه العرب، وحضارتهم، يقول الجاحظ "وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها"[١٢] ونص الجاحظ جاء تحت عنوان" تخليد العرب لمآثرها" فالشعر هو الوعاء الذي يحوي هذه المآثر.

ويأتي حديث ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" منسجماً مع ما جاء به ابن سلام إذ يقول" وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره وعمّن رفعه الله بالمديح وعمن وضعه بالهجاء، وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة والأنساب الصحاح والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة..."[١٣] يضيء نص ابن قتيبة هذا جوانب اجتماعية ذات مساس مباشر بطبيعة الحياة العربية التي يحياها العربي/ الإنسان في شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي جعل ناقداً مثل ابن قتيبة يُصدّر كتابه بعظم الخطر المترتب على الإخلال بالمضمون الاجتماعي للشعر من قبل الشاعر، ويلفت الانتباه إليه بالطريقة التي أشار إليها في صدر كتابه.

ويؤكد ابن طباطبا – مجال الدراسة – الدور الاجتماعي للشعر والشاعر، "إذ يبني تصوره للمهمة الاجتماعية على أساس فني المدح والهجاء، وما يتصل بهما من أغراض ذات صلة بوظيفة اجتماعية"[١٤] ، يقول ابن طباطبا "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها... فضمّنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسُّها إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها"[١٥] إذ إن دلالات ابن طباطبا، ومحمولات ألفاظه اجتماعية، ولا تكاد تحيد عن هذا الخط الذي رسمه العرب للشعر، والذي هو اجتماعي بالضرورة طبقاً لطبيعة المجتمع العربي "والمدخل إلى فهم مهمة الشعر عند ابن طباطبا يبدأ بالعبارة القديمة: "الشعر ديوان العرب"،

وهي عبارة يمكن أن تشير إلى أكثر من دلالة، إلا أن أهم هذه الدلالات في هذا السياق، هي الدلالة التي تؤكد تصوير الشعر القديم للجوانب المادية والمعنوية من حياة العرب، وتصوير الحياة المعنوية يعني أن الشعر القديم يصور جوانب القيم المختلفة في حياة العرب، وبالتالي يعكس ما في طبائعها من محمود الأخلاق ومذمومها"(١٦).

ولما كان مدار الحديث عند قدامه بن جعفر على غرضي المديح والهجاء طالب الشعراء بأن يمدحوا الرجال بصفات أربع هي"العقل والشجاعة والعدل والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع خصال مصيباً والمادح بغيرها مخطئاً"(١٧) يلحظ الدارس من خلال نص قدامة أن المواضعات الاجتماعية التي اتفق عليها العرب تحاول أن توجه ناقداً مثل قدامة في نقده للشعر أو تقعيده للشعر الجيد. وهذا أبو هلال العسكري يقول "... وكذلك لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها؛ فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها..."(١٨) ويقول المظفر العلوي أيضاً "أما الشعر فإنه ديوان الأدب وفخر العرب، وبه تضرب الأمثال، ويفتخر الرجال على الرجال، وهو قيد المناقب، ونظام المحاسن، ولولاه لضاعت جواهر الحكم، وانتثرت نجوم الشرف، وتهدمت مباني الفضل، وأفوت مرابع المجد..."(١٩) فأي وظيفة اجتماعية هذه للشعر التي أولاها المظفر له إن لم يكن الشعر جديراً بها؟ ويقول ابن خلدون "واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب؛ ولذلك جعلوه ديوان علمهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم"(٢٠).

يكتفي الدارس بهذه النصوص من النقد العربي القديم، ليدلل بها على عظم النظرة النقدية القديمة للوظيفة الاجتماعية، المنوط بالشعر عبء القيام بها، ولوفرة المعـــلومات، وخبرات الحياة التي أودعها العرب أشعارها، حتى كاد

يضم جوانب الحياة المختلفة، فشعرٌ هذه هي مكانته ووظيفته حري به أن يكون محط اهتمام النقاد بشكل عام وابن طباطبا بشكل خاص؛ إيماناً من النقاد بأن الشعر "لم يكن مجرد زينة تصحب الوجود الإنساني، أو مجرد ظاهرة ثقافية أو حماسية عارضة، أو تسلية مؤقتة، ولكنه كان ركيزة التاريخ، ولقد كان العربي يستغني به عن أشياء كثيرة"(٢١) أما بالنسبة للشاعر فلا تقل وظيفته ومسؤليته تجاه المجتمع والالتزام بقضاياه وبقضايا أفراده عن عظم مهمة الشعر ووظيفته. وهذا هو السبب في المكانة العليا التي حظي بها الشاعر قديماً، وهي مكانة مرموقة أعلى من مكانة الخطيب وغيره في مجتمعاتهم؛ لأن الشاعر كان ينطلق دائماً في أغراضه الشعرية في أغلب الأحيان منطلقاً اجتماعياً بصياغة فنية. وعلى ضوء هذا كان الشاعر يسجل تفوقاً في موقف يتطلب منه جاهزية واستعداداً وعليه أن يكون حاضر البديهة دائماً في الدفاع عن قضايا أفراد المجتمع.

ويختلف الدارس هنا مع الرأي القائل: إن الحديث عن "التزام الأديب بقضايا مجتمعه لم يشغل أحداً من النقاد القدامى، إلى حد المحدثين، ولم نجد وعياً حقيقياً لاستيعاب هذه الحقيقة من خلال النقود التي عرضت للأدب العربي. وهذا يعني أن الوعي بأثر الجانب الاجتماعي كاد يكون ضعيفاً"(٢٢) وحين يقول: "إن تأكيد موضوع إهمال النقاد لهذه الجوانب الاجتماعية والإنسانية، أفقد الأدب وأفقد الدراسة الأدبية قدرتها على الوقوف إلى جانب الآداب الأخرى، وأضاع ملامح إنسانية بارزة وقف عندها الأدباء"(٢٣) والذي يتفق فيه مع الرأي الذي يقول "وإذا رجعنا إلى النقد الأدبي القديم نتلمس خطوط هذه الفكرة النقدية والتي تتصل بتطبيق معيار التزامي في الفن نجد أن النظرة العامة، لم تكن تتوقف لتحاسب الشاعر عن غايات محددة نفسية كانت أو أخلاقية، وإنما كانت وجهة النظر العامة هي البحث عن المتعة الخالصة أي نظرة فنية محضة"(٢٤) أو حين يقول " ولعل معظم ما عندنا من

الآثار الفنية يخلو من اتجاه يؤكد ربط الفنان بمجتمعه عن طريق المشاركة في مشكلاته الاجتماعية..." [٢٥].

ويرى الدارس في حدود ما قرأ أن مهمة الشاعر الأولى كانت اجتماعية في إطار التفكير القبلي القائم أساساً على الروابط الاجتماعية.

يأتي الاهتمام بكتاب "عيار الشعر لابن طباطبا" لكون صاحبه واحداً من النقاد القدماء "في مجال التأصيل النظري للعمل الشعري"[٢٦] في مرحلة مبكرة من مراحل النقد العربي، ومن جهة أخرى لعنايته بالصنعة الشعرية، وما يترتب على صاحبها من تبعات صعبة لمن ارتضى لنفسه هذه الصنعة، ولبروز تأثير المجتمع بشكل واضح على توجيه العملية النقدية لدى هذا الرجل –ابن طباطبا– في ثنايا عبارات العيار، الأمر الذي حدا بهذا الناقد أن يجعله ركنا أساسيا في معمار الشعر الذي يريده أن ينهض مع البناء من أساسه، وينتهي بنهايته، ملامسا العملية الإبداعية بدوائرها الثلاث: النص بوصفه فعلا منتجا، والمتلقي كونه هدف العملية الإبداعية، والمبدع متسلحا بأدوات الشعر.

ولما كان العمل الشعري عند ابن طباطبا يتم ضمن مراحل مرتبة من قبل الشاعر، فقد طالب هذا الشاعر بجملة من الأدوات عليه معرفتها، وامتلاكها لكي يأمن العثرات اللاحقة " وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مرامه وتكلف نظمه. فمن نقصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة: فمنها... المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه في كل فن قالته العرب فيه"[٢٧] إذ يلحظ الدارس من كلام ابن طباطبا هذا حرصه الأكيد في اعتبار المعرفة بأيام الناس أداة شعرية لا تقل أهميتها عن الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، وهو توجيه صريح للشاعر لمعرفة النسيج الاجتماعي بكافة أطيافه وروافده

الثقافية، ويحتل السياق السالف الذكر أهمية خاصة كون هذا المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته بمثابة البئر التي ينهل منها الشاعر ما يريد.

وابن طباطبا يريد من الشاعر أن يصدر أول ما يصدر من واقعه ومجتمعه وبيئته لأن "الاتجاه نحو ربط الفن بالقيم الاجتماعية شيء طبيعي ولربما كان فطريا"(٢٨) وهذا ما تضمنته عبارة ابن طباطبا فيما تضمنت، بل أوجب على الشاعر الإلمام بمثل هذه الأدوات لكي لا يبين الخلل أو تلحق العيوب بعمله، وثمة مسألة اجتماعية أخرى يتضمنها نص ابن طباطبا، هي السير على خطى الشعراء القدامى لما لهؤلاء الشعراء من طرقٍ صحيحة في تأسيس الشعر، وعلى الشاعر المحدث أن يقتدي بها متدبراً طرائقهم في تلمس معانيهم في كافة فنونهم. ويحاول ابن طباطبا أن يربط الأديب الشاعر بالمجتمع حتى وإن كان لديه استعداد فطري لنظم الشعر، إيمانا منه بأن هذا "الاستعداد لا يمكن أن يكون كل شيء في حياة الأديب فهناك عوامل موجودة في المجتمع تتفاعل مع هذا الاستعداد الفطري لتؤثر في تكوين الأديب"(٢٩).

ومما لا شك فيه أن الاطلاع الواسع على المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم تكسبه دراية وثقافة "ويفيد الشاعر من هذه الثقافة في موضوعاته ومعانيه، فروايته لفنون الآداب تخدمه في تطويع أساليبه لمعانيه، وتطوير هذه المعاني وتوليدها، و تضمينها لأقواله بما يخدم أغراضه الشعرية الخاصة"(٣٠). ويبدو للدارس أن ابن طباطبا يصر على أن يطرح الأساليب الشعرية القديمة أمام الشاعر المحدث بوصفه شعاراً له من خلال تقديمه للموروث الاجتماعي كطرف عملي في عملية الإبداع الشعري.

ويؤكد ابن طباطبا أن الشاعر يجب أن يتحرك في واقع اجتماعي يتفاعل معه، وعليه أن يحرص كل الحرص على الاطلاع الجيد على هذا الموروث الاجتماعي المليء بكنوز المعرفة التي تمد الشاعر بما يحتاجه في مشروعه الإنتاجي على صعيد الإبداع الشعري "واتباع السنة أو الموروث هو معتمد

ابن طباطبا في النقد وهو على تضييقه في هذه الاتباعية ينفذ إلى أغوار عميقة توضح أنه لا يرى الشعر شيئاً منفصلاً عن البيئة والمثل الأخلاقية"(٣١).

ولما كان الإبداع الشعري يسير من وجهة نظر ابن طباطبا وفق خط عمل تراتبي محدد ومعد إعداداً جيداً، فإن البعد الاجتماعي وأثره في توجيه العملية النقدية لديه يسيران بشكل واضح وجلي في عملية الصناعة الشعرية كخطوة تالية لمعرفة الشاعر بالأدوات الشعرية، والتي منها "المعرفة بأيام الناس وأنسابهم..."(٣٢) وهو يلح على ربط العملية الفنية للإبداع الشعري وما يرافقها من دقة ومهارة وصعوبة بمختلف المراحل التي تمر بها صناعة الشعر وإبداعه بجملة من الأعمال الحرفية المجتمعية "فيكون كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف،... و كالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه...، وكناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها"(٣٣) ويبدو واضحاً من نص ابن طباطبا أنهُ يُصر على أن يظهر الأدب في سياق اجتماعي كجزء من ثقافة في بيئة يعيشها ابن طباطبا الشاعر أولاً قبل أن يكون ناقداً يهتم بتفهم البيئة الاجتماعية، وهذا ما أسماه إحسان عباس في كتابه تاريخ النقد الأدبي "بالصورة الصناعية التي لا تفارق خيال ابن طباطبا في عمل الشعر"(٣٤) بل يذهب إحسان عباس إلى أكثر من هذا في حديثه عن الوحدة في عيار الشعر حيث يرى إن ابن طباطبا بتصوره لقضية الوحدة في العمل الفني، كان مقروناً بصورة صناعية من واقع المجتمع المعاش فأراد أن يكون العمل الشعري "كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظم، والرياض الزاهرة"(٣٥) "حتى تخرج القصيدة كأنـــها مفرغة إفراغاً، لا تناقض في معانيها ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها"(٣٦). إن إدراكه معاناة الشاعر في عملية صناعته غني عن التعريف، ولا تعوزه المفردات لوصف العملية كما أبان عنها، ولكن إصراره على مقاربتها بمثل عمل الحرفيين الذي

ذكره ينم عن وعي تام بربط الفني بالاجتماعي أو الفن بالمجتمع ومحاولة جادة منه في وضع الصناعتين في حالة تقابل يهدف من خلالها تبيان أن جمهور المتلقين للشعر هم كل الناس الذين يدركون معاناة هؤلاء الحرفيين لحرفهم وما يرافق صناعاتهم من الدقة والمهارة والحرص على إخراجها بأفضل الصور. وهذا يأتي منسجماً عند ابن طباطبا الشاعر الناقد مع الخط الاجتماعي الذي يجب أن يجري فيه الإنتاج الأدبي وفق تصميم اجتماعي مرتبط بالأساس بالجهات التي يتوجه إليها الشعر والشاعر.

وثمة قضية أخرى يشير إليها ابن طباطبا موجهاً الشاعر فنياً على أساس اجتماعي، وهي أن يبذل أقصى طاقة ممكنة في معالجة نصوصه فنياً كمعالجة هؤلاء الحرفيين لحرفهم مع اختلاف الأدوات في كلا الصناعتين، رغم اتحاد الهدف (المعيار) الذي هو الجمال، حتى المعاني التي تدور في خلد الشاعر يحاول ابن طباطبا ربطها بالمجتمع عن طريق تجسيدها للعيان لتقوم بدورها الفاعل. يقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض"(٣٧).

ويأتي الحديث في العيار تحت عنوان طريقة العرب في التشبيه موصولاً بالحديث عن المعاني الاجتماعية وغيرها المتضمنة في طرائق هؤلاء العرب في التشبيه "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل وبر صحونهم البوادي وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منهما وفيهما، وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها...فضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها..."(٣٨) ويلفت ابن طباطبا نظر الشاعر المحدث إلى قيمة المخزون الذي تحتويه هذه التشبيهات، ومن جهة

أخرى هي محاولة من ابن طباطبا إلى تنبيه الشاعر المحدث على "أن للعرب طريقة خاصة في التشبيه من وحي بيئتهم، ولهم مقاييس يعتمدونها في المدح والذم، ولهم أيضاً سنن ومعتقدات لا تفهم إلا بالتحصيل"(٣٩).

مما يوطئ للدارس الحديث عن البعد الاجتماعي الواجب توافره في النص في إطار حثه للشاعر على الاهتمام بالقطب الفني للنص الذي لم يمل ابن طباطبا التذكير به على مدار الكتاب بأكمله، فهو عندما يتحدث عن المثل الأخلاقية عند العرب كمعين لا ينضب، يضعه أمام الشاعر ناصحاً إياه بالسير على هداه قائلاً "وأما ما وجدته في أخلاقها وتمدّحت به سواها، وذمت من كان على ضد حالها فيه فخلال مشهورة كثيرة: منها في الخلق الجمال والبسطة، ومنها في الخلق السخاء والشجاعة، والحلم والحزم... وأضداد هذه الخلال: البخل، والجبن، والطيش... ولتلك الخصال المحمودة حالات تؤكدها وتضاعف حسنها وتزيد في جلالة المتمسك بها، كما أن لأضدادها أيضاً حالات تزيد في الحط ممن وسم بشيء منها، ونسِب إلى استشعار مذمومها والتمسك بفضاحها..."(٤٠).

وهو بهذا النص يضيء الطريق أمام الشاعر المحدث "على منابع المعاني في الشعر العربي القديم وارتباط معانيه بحياتهم وطبيعة أرضهم وبيئتهم وطباعهم وعاداتهم وسننهم في الحياة؛ فمن هذا كله استقوا صورهم الشعرية وتشبيهاتهم، وقد اهتم في هذا الموضوع بالتشبيه لأنه ينقل صورا نابضة للحياة العربية القديمة وهي صور قد تبدو غريبة على الشاعر المحدث"(٤١) ويتفق الدارس أيضاً مع محمد زغلول سلام فيما ذهب إليه من أن ابن طباطبا يرى "أن الشعر يقوم على ثلاثة أدوار: تسجيلي، ووصفي، وتأديبي أو تعليمي؛ فهو يسجل حياة العرب بكل مظاهرها الإنسانية والاجتماعية، كما يسجل البيئة العربية في الجزيرة بكل مظاهرها الجامدة والحية، وهو وصفي يقف أمام المشاهد الطبيعية والمواقف الإنسانية فينقلها في صور وصفية شعرية يحملها مشاعره ويلونها بأحاسيسه"(٤٢).

وإذا كان ابن طباطبا رأى أن العرب قد اتفقت على هذه المعاني كنماذج يحتذى بها ولا يصلح تجاوزها "وأن متجاوزها لا يكون مجيدا أو متمكنا من صنعة الشعر، وإذا كان الشاعر المجيد هو من قارب النموذج المتعارف عليه، والشاعر غير المجيد هو من خرج على هذا النموذج بالنقص أو الزيادة"(٤٣) فإن نجاح نصه الأدبي يقاس فنياً بمدى ملامسته هذه الأعراف الاجتماعية المحمودة أو بمدى تجنبه الصفات المذمومة.

فإن ابن طباطبا يطرح ما تعارف عليه المجتمع بوصفه معيارا يحتكم إليه الشاعر والمتلقي ويؤكد أن الشاعر المبدع "عضو في مجتمع منغمس في وضع اجتماعي معين يتلقى نوعا من الاعتراف الاجتماعي"(٤٤). وجدير بالذكر ههنا أن هذا الذي ذكره ابن طباطبا من الأخلاق المحمودة والمذمومة في المجتمع العربي القديم هو من ابتكاراته الخاصة وهي "إحدى الإضافات التي زادها على النقد العربي وبيّن بها عادات النقاد القدامى وخلائقهم ومذامهم، وقد جمعها من الشعر القديم بالطبع لم يسبقه إليها سابق على طول العصور التي سبقته"(٤٥).

وابن طباطبا يلح على البناء الفني الجيد للنص الشعري في أكثر مواقع كتابه من أجل إمكانية تقبله والتذاذه وهذا هو الأصل عنده إلا أن الدارس يلمح من خلال المقاربات التي يسوقها في هذا السياق للتدليل على توصيل النص لرسالته التي أعد من أجلها منحىً اجتماعياً قائلاً " وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكالأراييح الفائحة المختلفة الطيب والنسيم وكالنقوش الملونة التقاسيم والأصباغ وكالإيقاع المطرب المختلف التأليف، وكالملامس اللذيذة الشهية الحس"(٤٦) وعلى الرغم من أن تذوق الفهم لما يرد عليه من الأشعار الحسنة النسج هو حديث مجرد إلا أن ابن طباطبا في محاولةٍ منه لتوصيل أثر هذا الشعر في الفهم يجد نفسه يتحدث عن حواس

الجسد المادية التي تأبى قبول ما يخالف فطرتها التي فطرت عليه، أما إذا ورد عليها ما يوافق هذه الفطرة فإن الفهم يقبل عليها بشوق" فيلتذها ويقبلها ويرتشفها كارتشاف الصديان للبارد الزلال"(٤٧) .

إن أثر الأشعار الحسنة كما يراها ابن طباطبا من خلال عرض الأمثلة المختلفة التأثير والفاعلية في نفس متلقيها تكشف عن الذوق الرفيع المستوى الذي يجب أن يمتلكها الشاعر حتى يستطيع أن يجاري ذائقة المتلقي في عصر ابن طباطبا، وهي ذائقة نقدية ذات حظ وافر من ألوان الثقافة الاجتماعية، وتستطيع أن تميز الشعر الحسن من الشعر الرديء، ولذلك يحذر من أن يصاب النص ببعض الخلل لأن العلة " في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ونفيه للقبيح منه... أن كل حاسة من حواس البدن إنما تقبل ما يتصل بها مما طبعت له... فالعين تألف المرأى الحسن، وتقذى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث، والفم يلتذ بالمذاق الحلو، ويمج البشع المر، والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل، واليد تنعم بالملمس الليّن الناعم، وتتأذى بالخشن المؤذي..."(٤٨) ويؤكد ابن طباطبا في مقارنة ناجحة منه على ربط الذائقة النقدية مع باقي حواس الجسد من خلال النص السابق وفي هذا محاولة أيضاً منه "في توسيع مفهوم التلقي ليشمل مختلف الحواس... وهي محاولة بالانزياح عن مفهوم القراءة المتصل بالمكتوب إلى أشكال من التقبل موصولة بالفضاء السمعي والبصري"(٤٩).

ولما كان المتلقي طرفاً أساسياً في العملية الإبداعية فهو يفرض نفسه عليه بثقافته ومكانته الاجتماعيتين، وابن طباطبا يعني هذا جيداً ولم يغفل عنه إبّان الحديث عن صناعة الشعر مطالباً الشاعر "بأن يحضر لبّه عند كل مخاطبة ووصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطهاً عن مراتبها، وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات

الملوك ويعد لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها، حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه وإبداع نظمه"[٥٠]. هذا النص الذي نقله الدارس على طوله يؤشر جيداً على مراعاة مقام المخاطب والاحتفاء به، مما جعله على حد تعبير محمد زغلول سلاّم حريصاً على أن "يقدم الرتبة على اللذة أو مراعاة المقام على المتعة "[٥١].

وبالرغم من أن "مفهومي الملوك والعامة في هذا السياق مفهومان ذهنيان مجردان فهما يتجاوزان المتقبل الصريح ليصبحا كائنين اعتباريين يمثلان أمام المنشئ زمن الإنشاء فيكيفان بحسب ما يفرضه المتقبل الضمني من مقاييس"[٥٢]. وفي هذا السياق أيضاً يحث ابن طباطبا "صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة، مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه، مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه"[٥٣] هدفه من ذلك كله أن ينسجم الحديث شكلاً ومضموناً مع قواعد اللياقة في المخاطبات التي تواضع عليها المجتمع. وعلى الشاعر ألا يتجاوزها احتراماً لمقام المخاطب ورتبته "وإذا مرّ له معنى يستبشع اللفظ به لطف بالكناية عنه، وأجل المخاطب عن استقباله، بما يتكرّهه منه وعدّل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إذا لم ينكر الشعر "[٥٤].

ومثل هذه الإشارات التي تنص على الاهتمام بالبعد الاجتماعي لحظة إنشاء النص في ذهن المبدع متوفرة في عيار الشعر فيما يتعلق بدائرة الإبداع: المبدع ، المتلقي، النص فهو على صعيد المبدع يحثه في مفتتح أشعاره على رصد الحالة النفسية الناتجة عن الظرف الاجتماعي الذي يعيشه المتلقي "فينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات..."[٥٥] ويلمس الدارس من هذا أن فاعلية النص وتأثيره المباشر يتعلق بشكل أساسي برصد الحالة النفسية للمخاطب

ومكانته الاجتماعية الأمر الذي جعله علة لقبول الشعر "ولحسن الشعر وقبول الفهم إيّاه علة أخرى، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها كالمدح في حال المفاخرة، ... وكالهجاء في حال مباراة المهاجي"[٥٦] فإنه في حال ألزم الشاعر شعره لما سبق جميعاً، بالضرورة سيتضاعف موقع هذه الأشعار في نفس متلقيها حسناً وجمالاً خاصةً "إذا أيدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها...كالابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول فيه قبل استتمامه وقبل توسط العبارة عنه"[٥٧]. ويتفق الدارس مع القائل "إن النظرات النقدية انطلقت من الموضوعات الشعرية نفسها في تقنين القواعد التي يمكن لها أن تعمق الصلة بين ألشاعر والممدوح"[٥٨].

كل هذا الاحتراز من ابن طباطبا في عملية صناعة الشعر يشير فيما يشير إليه "أن كلام المتكلم ينبغي أن يجيئ منحوتاً على الهيئة التي تشفي من السامع الغليل فيشبع رغباته ويراعي مقامه ويليق بطبقته "[٥٩].

وبالقدر الذي طالب فيه ابن طباطبا المبدع، المعرفة بمقام المخاطب الطبقي ومكانته ورتبته طالب المتلقي أيضاً بالثقافة الاجتماعية، لأن المبدع يوظف إشارات ذات أبعاد اجتماعية متعلقة بسنن العرب، وعاداتها، وتقاليدها "فإذا لم تكن المعرفة بها متقدمة عسر استنباط معانيها واستبرد المسموع منها"[٦٠] فكل هذا عنده لضمان توصيل النص لرسالته الأدبية فإذا راعى المبدع كل ما ذكره فيما يتعلق بالمتلقي من مراعاة لأحواله النفسية ومقامه الطبقي ومكانته ورتبته، وإذا كان النص مبنياً بناءً صحيحاً شكلاً ومضموناً وتوفر على عنصر الاعتدال "مازج الروح، ولاءم الفهم ، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى دبيباً من الرقى... فسل السخائم وحل العُقَد، وسخّى الشحيح وشجّع الجبان"[٦١] وكأن الشعر برأي ابن طباطبا يقوم بتهذيب الإنسان من الداخل، وتطهيره من الدرن النفسي فيتحول إلى عضو فاعل من جرّاء

توجيهه توجيهاً اجتماعياً صحيحاً، فيصبح منسجماً اجتماعياً مع المثل الأخلاقية التي تواضع عليها المجتمع.

وتنتشر وفق هذه النظرة جملة من الأحكام النقدية في عيار الشعر وابن طباطبا يسوق شواهد كثيرة على ما طرحه من أفكار خاصة بالمضامين ذات المحمولات الاجتماعية، وسيكتفي الدارس بإيراد أمثلة على سبيل المثال لا الحصر كشواهد على ما كان يصادق عليه المجتمع من قبول أو رفض للشعر يقول امرؤ القيس[٦٢] :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشبُّ لقفّال

يقول ابن طباطبا معلقاً: "فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها في مكان بعد مكان على حسب منازل القُفّال من أحياء العرب، ويهتدَى بالنجوم كما تهتدي القُفّال بالنيران الموقدة لهم"[٦٣]. إن الإعجاب الفني بصدق تشبيه بيت امرئ القيس مرده بالأساس الإعجاب بالقديم والانحياز له لما يمثله من درجة راقية في التعبير، فهو يراه النموذج الذي يجب أن يحتذى من قبل الشاعر، ولم يغفل ابن طباطبا من الإشارة إلى سياق البيت الاجتماعي المتضمن فيه وهو مطابقته لصورة موجودة في ذهن المتلقي على أساسها يستطيع فهم إحساس امرئ القيس الشعري وفق هذه الصورة الاجتماعية ونرى الشاعر في سياق اجتماعي آخر يقول[٦٤]:

فللساق ألهُوبٌ وللسوط دِرّةٌ وللزجر منه وَقْعُ أخرَجَ مُهْذِبِ

ونرى ههنا أن المتلقي لم يحفل بالبناء الذي قدمه الشاعر له، بل إن جل اهتمامه كان منصباً على ما قدمه له الشعر من مضامين، خاصة إذا كان الحديث عن شيء دائم الملازمة للعربي فقال له: "إن فرساً يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد"[٦٥]. فتعامل مع النص بالرفض المطلق، وليس أدل على هذا من أن ابن طباطبا يقيم آراءه النقدية على أبياته الشعرية

وتقسيمه إياها إلى أشعار محكمة النسج أو غير محكمة النسج قيامها في الأساس على احترام قواعد اللغة وفنية الألفاظ، لكن هذا لا يمنعه من أن يقيم رأيه على مدى مطابقة هذه الأشعار للمفاهيم الاجتماعية السائدة، وملاءمة هذه الأشعار لها، ويورد ضمن هذا المحور أمثلة كثيرة "لسَنَن العرب المستعملة بينها التي لا تفهم معانيها إلا سماعًا، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها... ، و كتعليقهم الحَلْيَ والجَلاجِل على السليم ليفيق،... وكسقيهم العاشق الماء على خرزة تسمى السلوان فيسلو وفي ذلك يقول القائل:

يا ليت أن لقلبي من يُعلّله أو ساقياً فسقاه اليومَ سلوانا

وهذا اعتقاد عند العرب وسلوك اجتماعي في مواجهة جملة من الأخطار تتهددهم في مختلف جوانب حياتهم، وأورد ابن طباطبا أمثلة شعرية متعددة الأغراض والجوانب الحياتية منها؛ ككيهم –إذا أصاب إبلهم العُرُّ والجرب– السليم منها ليذهَبَ العُرُّ عن السقيم(٦٦)، وكفقئهم عين الفحل إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً(٦٧)، وكإيقادهم خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ناراً(٦٨)، وكضربهم الثور إذا امتنعت البقر من الماء(٦٩)، وزعمهم أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه الخدر(٧٠)، وكزعمهم أن الرجل إذا أراد دخول قرية فخاف وباءها(٧١) فوقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق كما ينهق ثم دخلها لم يصبه وباؤها، وكزعمهم أن من علّق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن(٧٢).

فإن مثل هذه الأبيات المنسوجة في الأساس على مثل هذه السَّنَن والتقاليد، لا يمكن فهمها كما قال ابن طباطبا "إذا لم تكن المعرفة بها متقدمة"(٧٣). ويطالب ابن طباطبا بالمعرفة الشاملة لهذه الإشارات لأنها تحيل إلى ظواهر اجتماعية "والبحث عن ظاهرة اجتماعية في أثر أدبي هو نوع من القراءة الاجتماعية للأثر"(٧٤).

أما الأمثلة التي يأتي بها ابن طباطبا في سياق بيان الرأي النظري الذي يطرحه في إطار علة فهم الشعر على مراعاة مقتضى الحال للمخاطب ومقامه الطبقي ومكانته الاجتماعية فهي موجودة في كتابه بشكل لافت للنظر وسيقوم الدارس بإعطاء مثال على بعض الحالات التي خالفت في قواعد اللياقة الاجتماعية:

قول جرير بن عطية(٧٥):

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلي قطينا

فافتقاد البيت الشعري لقواعد اللياقة في الخطاب، وعدم مراعاته مقام المتلقي، أفقده مبتغاه منه مما حدا بهذا المتلقي أن يعدّل له في مقاصده، "فقال له عمر بن عبد العزيز جعلتني شرطياً لك، أما لو قلت: لو شاء ساقكم إليّ قطينا، لسقتهم إليك عن آخرهم"(٧٦) والشاعر نفسه والخطأ نفسه، يقول جرير(٧٧):

يـا بشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أميـر
قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق فِيمَ سُبَّ جريرُ

فقال له بشر: أما وجد ابن اللخناء رسولاً غيري

ومنها أن أرطأه بن سهية أنشد عبد الملك بن مروان شعره.

رأيت الدهـر يأكل كـل حـي كأكل الأرض ساقطـة الحديـد
وما تبغي المنية حين تغـدو سـوى نفس ابـن آدم من مزيـد
وأحسـب أنهـا ستـكِرُّ يوماً حتى توفـي نذرها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك: "ما تقول ثكلتك أمك: فقال أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين، وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضاً، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات"(٧٨).

وبالرغم من خلو الأبيات من أي خطأ لغوي، إلا أن الخطأ آت من ناحية التعبير في المقام بحضرة هؤلاء المتلقين الذين تستحضرهم مجالس الأدب

والسياسة، فهو يريد أن يبين أن الشعراء ملزمون" تجاه جماهيرهم قراء وسامعين، مخاطبين وغير مخاطبين، باصطناع عبارة مهذبة تراعى فيها مشاعرهم ومواقفهم ومخاطباتهم"(٧٩) .

يخلص الباحث من هذا البحث إلى جملة من الحقائق الشعرية، كان ابن طباطبا قد نص عليها صراحةً أو ضمناً في عياره، فيما يتعلق بأثر الفهم الاجتماعي في توجيه النقد لديه، الأمر الذي جعل مثل هذه الأفهام الاجتماعية ترقى بالنصوص الشعرية إلى ذائقة العصر الذي يعيش فيه، ولقد كانت بعض هذه الفهوم توجّه كثيراً من الشعراء لأن يعدلوا في نصوصهم، إذ توزعت ملاحظات ابن طباطبا الاجتماعية على النصوص الأدبية في ثنايا هذا الكتاب بدرجة تمكن الدارس من أن يقول أنها لامست دوائر الإبداع: المبدع، النص، المتلقي، مطالباً جميع هذه الدوائر بأن ترقى إلى ما تريد هذه النصوص أن تؤديه من وظائف فنية واجتماعية، فالمبدع مطالب بمعرفة الأحوال النفسية التي يكون عليها المتلقي، حاثاً له على مراعاة مقتضى الحال، ومذكراً إياه بأن لكل مقامٍ مقالاً، فيرتب كلامه وفق هذا التقسيم، أما النص حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي فيجب أن يقدم بأرقى صورة يستطيعها المبدع شكلاً ومضموناً، والمتلقي يقع عليه أيضاً عبء قراءة الموروث والمعرفة بسنن العرب وسلوكياتهم الاجتماعية إضافةً إلى المعرفة بما تواضع عليه المجتمع من تقاليد وعادات اجتماعية، لأن مثل هذه المواضعات الاجتماعية هي أحد المعايير التي قد تقف منتصبة للحكم بين المبدع والمتلقي على شاعريته وشعرية نصه، ولقد أفاض كتاب عيار الشعر في ذكر أمثلة للأشعار التي أخفق قائلوها في تأديتها لمخالفتها على ما تعارف عليه المجتمع.

هوامش البحث

(١) هوراس، فن الشعر، ترجمة لويس عوض، الهيئة المصرية العليا للتأليف، ١٩٧٠، ص ٤٢.

(٢) أرسطو، فن الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٧٣ ص٤٧.

(٣) هوراس، فن الشعر، ص٤٤.

(٤) د.عبده بدوي، دور الشعر وخدمته لعملية التنمية الثقافية، عالم الفكر، مج١٦، ع٤، ١٩٨٦، ص٢.

(٥) أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط٥، د.ت، ص ١٦٥.

(٦) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان- ط٤-١٩٧٢م-ج١-ص٦٥.

(٧) ابو إسحاق إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح وضبط زكي مبارك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٤، ج٣، ص ٦٨٧.

(٨) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، د.ت، ج١، ص ٢٤.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(١٠) دور الشعر وخدمته لعملية التنمية الثقافية، عالم الفكر، مجلد١٦، عدد ٤، ص ٤٩، ١٩٨٦م.

(١١) المصدر نفسه، ص٤٩.

(١٢) الجاحظ عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان ج١، ص٧٢.

(١٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، طبع في مدينة ليدن، ١٩٠٣م، ص٦.

(١٤) جابر عصفور، مفهوم الشعر، دار الثقافة للطباعة والنشر-القاهرة-١٩٧٨م- ص٥٧.

(١٥) ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق د.عبد العزيز بن ناصر المانع، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت، ص ١٥.

(١٦) مفهوم الشعر، ص ٥٧.
(١٧) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨، ص٩٦.
(١٨) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١، ص١٥٦.
(١٩) أبو علي المظفر بن السعيد بن أبي عبد الله جعفر العلوي، نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق د.نهى عارف الحسن، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٧٦.
(٢٠) ابن خلدون، المقدمة، مطبعة المدني، القاهرة، ج٣، ص٥٧٠.
(٢١) دور الشعر وخدمته لعملية التنمية الثقافية، عالم الفكر، مجلد ١٦، عدد٤، ص ٤٩.
(٢٢) نوري حمودي القيسي، الأديب والالتزام، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ص ١٣١.
(٢٣) المصدر نفسه، ص١٣٨.
(٢٤) د.رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢١٣.
(٢٥) المصدر نفسه، ص٢١٣.
(٢٦) قاسم المومني، نقد الشعر في القرن الرابع، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٣٣.
(٢٧) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ٦.
(٢٨) راجع إبراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف، ص٦١ وما بعدها.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ٦١.
(٣٠) د.أمل حركة، دراسات في علم اجتماع الأدب، دار المعارف الجامعية، ١٩٩٣، ص ٥٩.
(٣١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٧،ط٢، ص١٣٨.
(٣٢) عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، ص١٠.
(٣٣) المصدر نفسه، ص١١.
(٣٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طبعة جديدة ومنقحة، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، عمان، الأردن، ص ١٢٦.
(٣٥) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص٧.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٧، وانظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص١٢٦.
(٣٧) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص١١.
(٣٨) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز الناصر المانع، ص١٥.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٥.
(٤٠) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ١٧-١٨.
(٤١) عيار الشعر المقدمة، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٣، ص ٢٠.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٤٤) رنيه وليك، نظرية الأدب، ص ٩٧.
(٤٥) عبد السلام عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، دار الفكر العربي، ص ١٤٧-١٤٨.
(٤٦) عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، ص٢٢.
(٤٧) المصدر نفسه ص٢٢.
(٤٨) المصدر نفسه ص١٩-٢٠.
(٤٩) خالد الغريبي،، الشعر ومستويات التلقي، علامات المجلد العاشر ج٣٤، ص١٢٩.
(٥٠) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ٩.
(٥١) عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، ص ٢٩.
(٥٢) شكري المبخوت، جماليات الألفة، المجمع التونسي للعلوم والآداب، بيت الحكمة، تونس ط١ ١٩٩٣، ص٢٠.
(٥٣) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص٢٠٣.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.
(٥٥) عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، ص١٢٦.
(٥٦) المصدر نفسه، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص٢٣.
(٥٧) المصدر نفسه، ص٢٤.
(٥٨) موسى ربابعة، النقد العربي والوظيفة الاجتماعية للشعر حتى نهاية القرن الخامس الهجري، جامعة اليرموك ١٩٨٣، رسالة ماجستير، ص٦٦.
(٥٩) جماليات الألفة، ص٢٠ .

(٦٠) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ٦٦، وانظر تحقيق عباس عبد الستار ص٤٤.
(٦١) المصدر نفسه، ص ٢٢.
(٦٢) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، ص٣١.
(٦٣) عيار الشعر، ص ٢٨، وانظر عيار الشعر تحقيق عبد العزيز المانع ص ٣٣.
(٦٤) ديوان امرئ القيس، ص٥١.
(٦٥) عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، ص٩٩، وانظر عيار الشعر تحقيق عبد العزيز المانع ص ١٥٩.
(٦٦) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ٥١.
(٦٧) المصدر نفسه، ص ٥٣.
(٦٨) المصدر نفسه، ص ٥٤.
(٦٩) المصدر نفسه، ص ٥٥.
(٧٠) المصدر نفسه، ص ٥٦.
(٧١) المصدر نفسه، ص ٦٣.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٦٤.
(٧٣) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع ص ٦٦، وانظر تحقيق عباس عبد الستار ص ٤٤.
(٧٤) د.سعدى حناوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، دار الفكر العربي، ص٣٢٢.
(٧٥) جرير بن عطية، شرح ديوان جرير ١٩٨٦، قدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ص٤٣٩.
(٧٦) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ١٥٣.
(٧٧) ديوان جرير، ص٢٢٣.
(٧٨) عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، ص ٢٠٧.
(٧٩) نقد الشعر بين ابن طباطبا وابن قتيبة، عبد السلام عبد العال ص٤٦٤.

المصادر

١. أبو إسحاق إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح وضبط زكي مبارك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت– لبنان– ط٤.

٢. امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤.

٣. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر – الحيوان –تحقيق عبد السلام هارون– المجمع العلمي العربي الإسلامي –بيروت– لبنان.

٤. جرير بن عطية، شرح ديوان جرير ١٩٨٦، تقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١.

٥. الجمحي، محمد بن سلام – طبقات فحول الشعراء– تحقيق محمود محمد شاكر.

٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد– المقدمة– مطبعة المدني.

٧. ابن رشيق القيرواني، ابو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت–لبنان–١٩٧٢.

٨. ابن طباطبا، أبو الحسن، محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٩. ابن طباطبا العلوي، ، عيار الشعر– دار الكتب العلمية– شرح وتحقيق عباس عبد الستار–ط١–١٩٨٢.

١٠. ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام– منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٣، ١٩٨٤.

١١. العسكري، ابو هلال، الحسن بن عبد الله، الصناعتان، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–١٩٧١.

١٢. العلوي، أبو علي المظفر بن السعيد، بن أبي عبد الله جعفر العلوي، نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٧٦.

١٣. ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء–طبعة ليدن، ١٩٠٣.

١٤. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١.

المراجع العربية

١- بدوي، عبده، دور الشعر وخدمته لعملية التنمية الثقافية: عالم الفكر، مـــج١٦-ع ٤-١٩٨٦.

٢- حركة، أمل، دراسات في علم الاجتماع: دار المعرفة الجامعية،١٩٩٣.

٣- حمادة، إبراهيم – مقالات في النقد الأدبي: دار المعارف.

٤- الحناوي، سعدي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، دار الفكر العربي.

٥- الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي: دار نهضة مصر، الفجالة-القاهرة-ط٥.

٦- ربابعة، موسى، النقد العربي والوظيفة الاجتماعية للشعر-حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك-١٩٨٣.

٧- عباس، إحسان – تاريخ النقد الأدبي عند العرب: دار الشـــروق للنشـــر والتوزيـــع، عمان، الأردن، ١٩٩٧، طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة.

٨- عبد العال، عبد السلام، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلـــوي، دار الفكـــر العربي- مطبعة دار القرآن.

٩- عصفور، جابر، مفهوم الشعر، دار الثقافة للطباعة والنشر-القاهرة١٩٧٨.

١٠- عيد، رجاء، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي: منشأة المعارف في الإسكندرية-١٩٨٨.

١١- الغريبي، خالد، الشعر ومستويات التلقي، مجلة علامات، المجلد١٠، الجزء ٣٤.

١٢- القيسي، نوري حمودي، الأديب والالتزام: دار الحرية للطباعة والنشر،١٩٧٩.

١٣- المبخوت، شكري، جماليات الألفة، المجمع التونسي للعلوم والآداب، بيت الحكمـــة، تونس، ط١، ١٩٩٣.

١٤- المومني، قاسم، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري: دار الثقافة للطباعة والنشـــر- القاهرة-١٩٨٢.

المراجع الأجنبية

١. أرسطو، فن الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدوي- دار الثقافة-بيروت-لبنان- ١٩٧٣.

٢. رينيه ، وليك واوستن وارن، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر-بيروت-ط٣-١٩٨٥.

٣. هوراس، فن الشعر، ترجمة لويس عوض، الهيئة المصرية العليا للتأليف، ١٩٧٠.